كتاب مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر للعقوبي المتوفى ما بعد (٢٩٢هـ – ٩٠٥م) دراسة منهجية أسلوبية

م.د. نورة إبراهيم توفيق
وزارة التربية– تربية نينوى

الملخص:

يعنى هذا البحث بدراسة منهج وأسلوب المؤرخ الجغرافي اليعقوبي في كتابه ((**مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر**))، إذ يُعَدُّ كتابُه رسالة تاريخية صغيرة في تنوُّع العادات والمظاهر الثقافية والاجتماعية للنُّخب السياسية للعصور الإسلامية ((الراشدي – الأموي – العباسي)).

كما يقدِّم الرسالة تطبيقا مُلَخَّصاً في علم الاجتماع المعرفي، جاعلاً من الخليفة على رأس الهرم في التقليد، ثم يأتي النخب والطبقة السياسية الحاكمة من رجال بلاطه من الوزراء ووُلاته وكُتَّابيه وعُمّال دَواوينِه وأمصاره في الطبقة الثانية ثم يليه العلماء والتجار وأثرياء ووجهاء القبائل في الطبقة الثالثة ثم العامة من الشعب، كما يتناول رسالته مدى تأثير الخليفة على المستوى الاجتماعي والثقافي والعلمي لطبقات المجتمع هذه خلال العصور السياسية الثلاث.

الكلمات المفتاحية: (كتاب مشاكلة الناس، العادات، المظاهر).

The book People's Problems of Their Time and What Prevails in Every Age by Al-Yaqubi who died after (292 AH - 905 AD) A methodological stylistic study

Assistant Professor Noura Ibrahim Tawfiq
Ministry of Education - Nineveh Education

Abstract:

This research is concerned with studying the method and way of the historian and geographer Al-Yaqubi in his book ((People's correspondence for their time and what prevails over them in every era)). His book is a small historical message on the diversity

of customs and cultural and social manifestations of the political elites of the Islamic eras ((Al-Rashidi - Umayyad - Abbasid)).

The message also presents a summary application in the sociology of knowledge, making the caliph at the top of the pyramid in the tradition, then the elites and the ruling political class from his courtiers from the ministers and his governors, His clerks and the workers of his offices and cities are in the second layer, followed by scholars, merchants, wealthy tribesmen and dignitaries in the third layer, then the common people. His message also deals with the extent of the Caliph's influence on the social, cultural and scientific level of these classes of society during the three political eras.

Keywords: (People's Problems Book, Customs, Appearances).

المقدمة:

بحمدك اللهم تجرأ قلمي على الكتابة في موضوع ليس سهلا ولا يسيرا، فالتاريخ عامة فيه مزالق، من الصحيح والخطأ، والقبيح والحسن، والعالي والنازل، والانحياز والتعصب، وعدم الموضوعية والنزاهة العلمية ، وذلك لأن الباحثين فيه لم يروا أحداثه بأعينهم وما شاهدوها، وهم لا يعرفون طباع من يكتبون عنهم معرفة قائمة على الحس. ومع ذلك فقد يسر الله تعالى أن تختار الباحثة هذا الموضوع المهم الذي يحتاجه الناس في كل وقت، فهم عادة يقلدون في معاشهم من هو فوقهم في أمور الدنيا، وهذا يسمى مشاكلة. وأحسن اليعقوبي لمّا ألف فيها كتيبه الصغير في (١٥) صحيفة، وسماها بهذا العنوان الفريد المتميز المطابق تماما لمحتواه، ضمت المشاكلة في العهد الراشدي ثم الأموي ثم العباسي. وهذا سبب كاف ومعقول جعلني أقدم على الكتابة في المنهجية والأسلوبية لدى اليعقوبي في كتيبه الصغير حجما الكبير قدرا. وقد واجه البحث مشاكل كان معظمها ندرة المصادر مع صعوبة الوصول إليها. ولم تجد الباحثة دراسة مشابهة لهذا المحتوى مع العنوان الجديد بحسب اطلاعها المتواضع فيه. وأما منهج البحث فوصفي يعتمد التحليل. وأما خطة البحث فضمت مقدمة مع تمهيد، ثم محورن، ثم الخاتمة وأخيرا قائمة بمصادر البحث ومراجعه.

التمهيد:

يُعد اليعقوبي من أبرز مؤسسي علم الجغرافية في العصر الإسلامي، والذي كان له باع طويل في التأريخ والجغرافية والفلك، إذ عاش في العصر العباسي الأول مع نهاية القرن التاسع

الميلادي (١٣٢-٢٣٢هـ/ ٧٥٠-٨٤٧م)، وعاصر علماء ومؤرخي العصر العباسي الذين منهم الدينوري (ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥ م)، والبلاذري (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢ م). ويذكر أنه وطّد أركان علم الجغرافية في العصر العباسي في كتابه البلدان، وحذا بذلك حذوه علماء العرب المسلمين من الجغرافيين والبلدانيين.

سافر مع أسرته إلى كثير من البلدان والأمصار العربية والإسلامية، إذ عمل أبوه وجده والياً للخلافة العباسية، فبقي في كنف إمارة الطاهريين في المشرق الإسلامي، وإمارة الطولونيين في مصر وهو في ريعان شبابه، وقد حظي باهتمام بالغ واحترام كبير جعلا مصادره ورواياته موثوقة بين الباحثين والمؤرخين، وشاهد العديد من المدن والأقاليم بفضل سفراته الكثيرة، وفي هذا المجال ألف اليعقوبي الكثير من الكتب والمؤلفات، وتميزت كتاباته بطابع الدقة العلمية والمنطقية واعتمد في أسلوبه على التحليل والتفصيل والتوثيق، وقد جاءت معلوماته موثقة وأكثر واقعية من غيرها من معلومات المؤرخين في وصف المدن والبلدان والأماكن، بعيدة عن الخرافات والأساطير، لذلك جاءت موضوعاته أكثر مصداقية في الخبر بعيدة عن الحشو والإطالة، مسجلاً معلومات قيمة ومهمة ذات أبعاد جغرافية وتاريخية. وفيما يأتي ترجمته:

اسمه:

هو: أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح الاخباري العباسي المعروف باليعقوبي [١]، والمكنى بابن الواضح [٢]. المقرئ، الكاتب، مولى أبي جعفر المنصور [٣].

١ – ولادته:

لم يعلم لليعقوبي تأريخ ولادة، حيث لم يذكر أحد من المؤرخين شيئا عن ذلك باستثناء مكان ولادته، فقد ذكر أنه ولد في بغداد وعاش فيها [٤].

وفاته:

اختلف المؤرخون في تأريخ وفاته، فقيل: إنه توفي سنة ٢٨٤هـ [٥]، وقيل: كانت وفاته في سنة ٢٨٢هـ، وقيل: بل في سنة ٢٧٨ أو بعدها [٦]، لكن الباحثة ترجح وفاته بعد سنة (٢٩٢هـ= ٩٠٥م)، بدليل ما أكده المؤرخون والباحثون الذين اختصوا بسيرته وحياته [٧].

٢- كتبه ومؤلفاته:

ألف اليعقوبي كتبا عديدة، شملت أخبار الأمم السالفة والتأريخ، والبلدان، والجغرافية، والطرق، والمدن، كما شملت مؤلفاته دراسة النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية لكثير من الأقاليم والأمصار، ومن هذه المؤلفات: أخبار الأمم السالفة، البلدان، تاريخ اليعقوبي، تاريخ فتوحات أفريقيا، جغرافيا الإمبراطورية البيزنطية، كتاب في فتوحات وإنجازات طاهر بن الحسن، المسالك والممالك، مشاكلة الناس لزمانهم، ملوك الروم [٨].

أ. المحور الأول

- **نبذة عن كتابه المشاكلة: -**

يعُد كتاب مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر من الكتب النادرة، والذي ألفه اليعقوبي في بغداد، إذ إن موضوع الكتاب يقوم على رصد ظاهرة من ظواهر العلوم الاجتماعية المعرفية في التأريخ، فقد درس في كتابه أهل بغداد خلال العصر العباسي الأول، وطريقة معيشتهم اليومية، ومدى محاكاتهم وتقليديهم لخلفائهم من الناحية الفكرية والخُلقية، والعادات والمراسيم الثقافية التي كانت منتشرة آنذاك.

كما يقدم الكتاب ملخصاً وتطبيقاً لعلم الاجتماع المعرفي [٩]، إذ درس الحياة الاجتماعية لأهل بغداد من جهة والطبقة السياسية الحاكمة والمتمثلة بوضع الخلفاء العباسيين من جهة أخرى ، ويجري موازنة بين الجهتين من الناحية الاجتماعية على جميع المظاهر، وتأثير الخليفة في الحياة اليومية لدى الإنسان من نواحٍ متعددة، وخاصة من حيث المأكل والملبس وطريقة التفكير لديه، مبينا تلك الظاهرة في جميع العصور الإسلامية، ويرسم لنا اليعقوبي خلال هذا التحقيق الاجتماعي لهذا العصر المزدهر التسلسل في استقطاب السلوك الثقافي للخلفاء، ومن ثم تأثيرها وإشعاعها نحو طبقات المجتمع البغدادي المترف [١٠]، جاعلاً تقليد الخليفة هو رأس الهرم، ثم يقلده النخب والطبقة السياسية الحاكمة من رجال بلاطه من الوزراء والولاة، ثم عمال الأمصار، ثم ينتشر إلى العامة من الناس، فيصبح بذلك (الموضة) حسب المفهوم التاريخي الذي يستعمله اليعقوبي في هذا الكتاب، أو سلوكاً متعارفاً عليه من قبل جميع الأفراد، وينتهي

الكتاب في عصر المعتضد أحمد بن أبي أحمد بن المتوكل العباسي (٢٧٩- ٢٨٩هـ/ ٨٩٢-٩٠٢م)، ذاكراً عددا من الخلفاء، ومتجاهلاً الآخرين منهم[١١]، ولا يعرف سبب ذلك[١٢].

- **أسباب تأليفه الكتاب:**

أولاً: إجراء مقارنة بين العصور الإسلامية الثلاثة، عصور الخلفاء (الراشدين، والأمويين، والعباسيين)، وصفاتهم الدينية والدنيوية، ولباسهم وعمّالهم، وولاتهم، ودواوينهم، وطرائق معائشهم، والحياة العمرانية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، وركوبهم، والترف والبذخ في الأموال في حياتهم اليومية.

ثانيا: ليُبيِّن للقارئ القوانين الاجتماعية المتداولة آنذاك، ويستنتج من خلال رؤيته التاريخية والجغرافية والاجتماعية للعصور الثلاثة نظريته الاجتماعية المتكاملة في علم الاجتماع المعرفي حول المجتمع وتأثير الطبقة السياسية الحاكمة على العامة.

ثالثا: ليبيّن رؤيته الدينية والمذهبية، ونظرته العميقة السلبية إلى الدولة الأموية، وميوله الفكرية والسياسية الإيجابية إلى الدولة العباسية، فضلا عما ذكرت، إذ نرى أن اليعقوبي أسّس من خلال تأليفه لهذا الكتاب نظرية اجتماعية تقوم على أن الملوك – أو الرؤساء- هم في أعلى الهرم من حيث انتشار الأفكار والتطورات الاجتماعية التي تحدث في المجتمع، والأكثر استجابة لبقية طبقات المجتمع، ثم تليها الطبقة السياسية، والمتمثلة بالوزراء ورجال البلاط، ثم تليها الطبقة المثقفة في المجتمع، وهم العلماء والكتّاب والتجار وغيرهم.

فنجد من خلال نظرة اليعقوبي للمجتمع الإسلامي (العباسي) أن الملوك والرؤساء هم أشّد تأثيراً وأكثر محاكاة لبقية طبقات المجتمع من حيث التقليد الفكري والاجتماعي.

كما نلاحظ أن اليعقوبي دقّق في تميز السمة الأساسية للعصور الإسلامية الثلاث، حيث وضّح أن السمة الأساسية للعصر الراشدي كانت الزهد، والسمو بالذات، والتحلي بالصفات السامية، التي كان يتميّز بها رسول الله ﷺ.

في حين أن العصر الأموي تميز بـ ثراء عريض، وقوة عسكرية واقتصادية هائلة، ونهضة علمية في بواكيرها، تنبئ بازدهار حضارة عظيمة، وتخلل تلك الحياة الجادة بعض مظاهر اللهو، والتسلية البريئة للترويح عن النفوس [١٣]. ويبدو أن مِن المؤرخين مَن لم ينصف الأمويين في مؤلفاتهم

التاريخية الذين كان اليعقوبي من ضمنهم، وذلك عندما يذكر أن السمة الغالبة على العصر الأموي كانت الاستهلاك المظهري من حيث المأكل والملبس والمسكن. ومن الطبيعي كون العصر الأموي عصراً مزدهراً ومتطوراً، والذي فتح العالم الإسلامي على مصراعيه للثقافة والحضارة نتيجة لزيادة الأموال، واتساع الفتوحات الإسلامية، وتوسع رقعة أراضي الدولة الأموية، ومخالطتهم لشعوب أكثر تحضراً وتطوراً منهم، لذلك اتسعت مظاهر اللهو، والترف، ووسائل التسلية، بإقامة الحفلات والولائم الكبرى، فضلا عن ذلك مجيء خلفاء غير مؤهلين للحكم، واهتمامهم بالترف واللهو، وانشغالهم بملذات الحياة عن أمور الرعية وطريق الحق [١٤]. أما السمة التي غلبت على العصر العباسي (١٣٢هـ- ٦٥٦هـ) فقد كانت الاستهلاك الثقافي، حسب المفهوم العام لليعقوبي في كتابه مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر ، بمعنى أن الحياة العلمية وازدهار العلم والمعرفة وتطور حركة الترجمة واهتمام الخلفاء العباسيين بالعلم وإنشاءهم المكتبات وجلب الكتب وترجمتها من العربية إلى اللغات الفارسية واليونانية والقبطية والبيزنطية [١٥]، كلها كانت وليدة العصر العباسي الأول والثاني والأخير [١٦]. لكن يرى البعض أن التطور العلمي والازدهار المعرفي اللذين حدثا في العصر العباسي كان للأمويين دور بارز في التمهيد لهما ، إذ الأمويُّون هم الذين أسسوا قواعدها، ووطدوا أركانها، وخير مثال على ذلك حركة التعريب وترجمة الدواوين التي حصلت في عهد عبد الملك بن مروان (٦٥- ٦٨هـ= ٦٨٥- ٧٠٥م) [١٧]، وعهد ابنه الوليد بن عبد الملك (٨٦- ٩٦هـ= ٧٠٥- ٧١٥م)، إذ حصلت حركة ضخمة في بناء المؤسسات العلمية، وترجمة الكتب والمؤلفات الأجنبية، من الإغريقية إلى العربية، لا سيما في البصريات، والطب، والفلسفة، والفلك، والكيمياء، والمنطق. فالأمويون كانت عندهم البدايات والبواكير، ثم جاء العباسيون، فأكملوا هذه النهضة، والصرح العلمي بإنشاء المدارس، والجامعات، والمكتبات، ثم التأهيل لظهور العلماء من الفقهاء، والمتكلمين، والمفكرين، والفلاسفة والأدباء، ثم مهدت إلى ظهور الفرق كالمعتزلة والقدرية والجبرية والجهمية والإسماعلية فضلا عن ظهور المذاهب الفقهية، من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية ... [١٨].

يستخلص مما سبق أن العصر الأموي لم يكن عصراً مستهلكاً مظهريا، يقوم خلفاؤه على الاهتمام بالمظاهر ووسائل الترف والبذخ والراحة، كما صوره اليعقوبي بل على العكس من ذلك، وفي

الوقت نفسه لم يكن العصر العباسي بجميع عصوره ذات الاستهلاك الثقافي متكاملاً ومعتمداً على ذاته، بل إنما كانت له جذوره وأركانه الوطيدة منذ العصر الأموي المزدهر علمياً ومعرفياً وحضارياً.

- **جوانب الكتاب المختلفة: -**

يتتبع اليعقوبي من خلال كتابه مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر أموراً عدة، منها: الجانب السياسي، والجانب الاقتصادي، والجانب العلمي، والجانب الديني، والجانب الإداري مع النظم الإسلامية التي كانت متداولة في ذلك العصر، كما يؤشر إلى أعمال الخلفاء العباسيين في الجانب العمراني والمعرفي، وإنشاء المكتبات، وجلب الكتب إليها من مختلف البقاع، وترجمتها من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية، وفي مختلف الاختصاصات العلمية، والفلسفية، والإنسانية، والاجتماعية، والتجريبية وغيرها [١٩].

كما نلحظ من خلال الكتاب أنواع الأقمشة والملابس والأزياء والقلانس والخفوف المستعملة في حياتهم اليومية.

كما يذكر اليعقوبي أن العصر العباسي كان عصراً بهياً زهياً كثير الخير حسنا وناضرا يقام فيه مجالس الهزل والمضاحيك والترف والبذخ بالأموال والجواري والنساء، حتى إن البعض من الخلفاء عكف على الملذات والملاهي والانشغال عن أمور الدولة [٢٠].

الجوانب الاجتماعية:

شمل العصر العباسي ثلاثة عهود تاريخية طويلة إذ امتد العصر الأول (العصر الذهبي) من تولي عبد الله بن محمد بن علي (١٣٢- ١٣٦هـ/ ٧٥٠- ٧٥٤م) الخلافة، وينتهي بعصر الواثق بالله (٢٢٧- ٢٣٢ هـ/ ٨٤٢- ٨٤٧م) إذ كانت السلطة بيد الخلفاء العباسيين الأوائل الذين استطاعوا تأسيس أركان الخلافة وتوطيدها، وامتدت أراضيها من الشرق إلى أقصى الغرب، وانطلقت الفتوحات الإسلامية إلى ربوع العالم، وبرزت كوكبة من العلماء فيهم الفقهاء والمؤرخون والأدباء والفلاسفة [٢١].

أما العصر العباسي الثاني (عصر النفوذ الأجنبي)، فقد امتد من سنة [(٢٣٢- ٣٣٤) هـ= (٨٤٧- ٩٤٦) م]، ويبدأ من تولي الخليفة المتوكل بن المعتصم سنة (٢٣٢هـ= ٨٤٧م)، وينتهي بمقتله على يد الأتراك ، فيبدأ عصر المستكفي بالله بن المعتضد (٣٣٤هـ= ٩٤٦م)، إذ تميزت هذه المدة بتدخل القوى الأجنبية المتمثلة بالنفوذ التركي، وسيطرتها على أمور الخلافة، وقيادة الجيش، وتولي

المناصب العليا في السلطة مثل الوزارة. وأصبح للخلفاء الخطبة والعملة، فصاروا ألعوبة بيد القادة الأتراك ، بسبب جلبهم الجنود الأتراك من الشرق إلى بغداد، فكانت نتائجها عدم استقرار أمور الدولة سياسياً واقتصاديا واجتماعياً، فضلا عن عدم امتلاكهم السلطة الفعلية للحكم، ثم سيطر على زمام الخلافة النفوذ البويهي [٢٢]. أما الجانب الاجتماعي في العصر العباسي الثاني فقد تناوله اليعقوبي في رسالته أو كتابه مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر

إن مدة حكم الخلفاء من عصر المتوكل حتى آخر عصر المستكفي بالله كانت فترة زاهية، ومترفة من الناحية الاجتماعية، بحيث كثر فيها الأموال وحالة البذخ في إقامة الحفلات والولائم، وظهر الفساد وساد الفتك وعمت الرشوة، فأدت هذه الأوضاع إلى انتقال الخلافة إلى يد الديلم، وانتهى العصر العباسي الثاني على يد آل بويه [٢٣]. وكان المجتمع العباسي يتكون من ثلاث طبقات وهي: -

١- الطبقة العليا: تأتي على رأس الهرم فيها الخلفاء، فالوزراء، فالقواد، فالولاة، ثم الذين يتبعهم من موظفي الدولة، وكبار التجار، وأصحاب الإقطاع، ووجوه الأعيان.

٢- . الطبقة الوسطى: وهم قادة الجيش، وموظفو الدواوين، والتجار، والصناع.

٣- . الطبقة السفلى: تشمل العامة من الفلاحين، وأصحاب المهن الصغيرة، ثم الخدم، والرقيق، (وهم أسرى الحروب)، ثم في نهاية الهرم تأتي طبقة أهل الذمة من اليهود النصارى [٢٤]. وغيرهم.

وفي العصر العباسي الثاني شاع استخدام الخدم والجواري وانتشر انتشاراً كبيراً، إذ كانوا المكون الرئيسي في الطبقة السياسية، والأكثر تأثيراً على الخلفاء، حيث أصبح منهم قادة للجيش والولاة الذين كانوا يأمرون وينهون، وكان الخلفاء بدورهم يقربونهم، ويستكثرونهم، ويكرمونهم، بل يستشيرونهم في أمور الحكم لأجل حمايتهم من فتك الأتراك، ومحاولاتهم للقضاء على الخلافة العباسية، ثم آلت هذه الأمور إلى انقسام الخلافة العباسية إلى مماليك وإمارات إسلامية، فذب فيها الضعف والفوضى [٢٥].

إن الفوضى السياسية، وضعف الخلفاء، وانقسام الخلافة، وتدهور اقتصاد البلاد، وسيطرة الأتراك على خزينة الدولة، واستبدادهم، ونهبهم للأموال، كل هذه الأمور أدت إلى الفساد الاجتماعي، وانحراف المجتمع من مسارها الصحيح.

- **الجوانب السياسية:**

سبقت الإشارة إلى أن اليعقوبي عاش في بغداد، فجعل يتنقل من بلد إلى آخر، ومن إمارة إلى أخرى، وشاهد أوضاع الخلافة العباسية إبان العصرين الأول والثاني، وألف كتابه مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر، قبل وفاته سنة (٢٩٢هـ)، إذ نرى أنه اختتم كتابه بذكر اسم آخر خليفة عباسي، وهو المعتضد أحمد بن أبي أحمد بن المتوكل الذي تولى الخلافة سنة (٢٧٩هـ= ٨٩٢م)، حيث يروي أحداث الخلافة العباسية خلال العصرين الأول والثاني، وينهي كتابه بهذه المدة الزمنية.

ومن المؤرخين مَن يعُد عصر المعتصم [(٢١٨- ٢٢٧) هـ= (٨٣٣-٨٤١) م] عصر التدهور والضعف، حيث كان محباً لجمع الأتراك، وشرائهم، وجلبهم من أقصى البقاع، والأراضي المفتوحة، حتى بلغ عددهم أربعة آلاف جندي، فضاق بهم أهل بغداد، وتأذى الصغير والكبير، ثم تدرّج بهم إلى تولي الوظائف المرموقة كالجيش، والوزارة، ثم أصبحوا القادة المقربين منه، ومنح لهم الإقطاعات والأموال، والقصور الكثيرة في سامراء [٢٦].

وازدادت الأمور السياسية والاقتصادية سوءاً وتدهورا في عصر المتوكل لميله للأتراك بجعلهم في أعلى مراتب للدولة، أما من الناحية الاقتصادية فكانت خزينة الدولة تعاني أزمة مالية من عصر المأمون [(١٩٨- ٢١٨) هـ= (٨١٣- ٨٣٣) م]، تتمثل في قيام أعمال الشغب، وتمرد الجنود، بسبب تأخر رواتبهم، وأرزاقهم [٢٧]، ثم استمر العجز المالي إلى ما بعد مقتل المتوكل.. ويذكر المسعودي أن المتوكل كان عصره عصر البناء، والتفاخر، والترف، فضلا عن أنه عُرِفَ أنواع من البناء والعمران، والذي لم يكن معروفاً من قبل تجسد في تقليد ملوك الحيرة، ثم احتذى الناس حذو المتوكل في تشييد القصور والأبنية الفاخرة، فأخذت العامة تقلده وتتبعه فيما اشتهر به [٢٨].

يستنتج مما سبق أن التقليد هو العامل المؤثر الذي يتأثر به الناس، حيث يبدأ التقليد من أعلى طبقة الملوك، وينتهي بأدنى طبقة في المجتمع، التي يتوقف قيامها بالتقليد على مدى تطور المجتمع وعلى مستوى رقيها وازدهارها. وهذا هو العامل الأول. أما العامل الثاني: فهو ما انطوى عليه المثل الجاري على ألسنة العامة: (الناس على دين ملوكهم)، وهو ليس حديثا كما قيل، ويقصد به أن الملوك هم مرآة للعامة في أعمالهم وعاداتهم الاجتماعية، فإذا كان الملك محبا للدين تبعه الناس في حبه ورغبته وهواه، أما إذا كان ممن انشغل بملذات الدنيا فالناس ممن حوله يفعلون كما فعل، وقد كان الأغلب على الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز حب القرآن والصلاة والصيام وسائر العبادات والطاعات ومحبة العلم والعلماء، لذلك كان الناس في أيامه يتلاقون، فيقول الرجل لأخيه: ما وردك الليلة، وكم تحفظ من القرآن، ومتى تختمه، وكم صليت البارحة، وصلاتك في المسجد أكثر أم في بيتك، وهل أنت صائم، وما تصوم من الشهر؟ وأما الخليفة هشام ابن عبد الملك فكان محبا للثياب، ونفائس اللباس، لذلك كان الناس يتبارون في التجارة فيها، ويستبضعون ألوانها، ويتواصفون أنواعها [٢٩].

ويتبين من ذلك أن الناس على سير حكامهم وملوكهم في طبائعهم وتقاليدهم وعاداتهم يقول اليعقوبي في هذا الصدد مؤكداً نظريته الاجتماعية ما نصه: فأما الخلفاء وملوك الإسلام، فإن المسلمين في كل عصر تبع للخليفة، يسلكون سبيله، ويذهبون مذهبه، ويعملون على قدر ما يرون منه، ولا يخرجون عن أخلاقه، وأفعاله، وأقواله [٣٠].

- **الشخصيات:**

حسبما طالعت كتاب مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر وقرأته وجدت اليعقوبي ذاكرا الخلفاء الراشدين كلهم جميعا بدون استثناء، فقد مدحهم وأثنى عليهم ووصف تحليهم بأخلاق الإسلام من الزهد، والتواضع، والتقوى، والسمو بالنفس، وعدم الإسراف، فعند ذكره الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ [(١٣- ٢٣) هـ= (٦٣٤- ٦٤٤) م] فقد وصفه بالتواضع، وبساطة العيش والنفقة، والحرص على أموال المسلمين، وخشونة المطعم والملبس والمسكن، فلذلك حذا حذوه عماله وولاته في الزهد، والتقشف، والتقوى من الله ﷻ، والأمانة، والحرص على أموال الرعية، والإخلاص لله في السر والعلن. بل تبعه الناس كلهم.

وعندما ذكر اليعقوبي الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ [(٣٥- ٤٠) هـ= (٦٥٦- ٦٦١م)] استهل كلامه بالسلام عليه ثم بيَّن أنه كان منشغلاً بالحرب طيلة مدة حكمه، ولم يلبس ثوباً جديداً، ولم يتخذ ضيعة، ولم يعقد على مال، إلا ما كان له في ينبع والبغيبغة [٣١]، والذي قد تصدق منه [٣٢].. فضلا عن ذلك أشار إلى خطبه التي بلغت أربعمائة خطبة، والتي حفظها الناس كلها جميعا أثناء ولايته، وهي كانت متداولة شائعة بين الناس يستعملونها في حديثهم وحياتهم اليومية، وقد حفظ منها اليعقوبي نفسه أيضا [٣٣].

وفيما يتعلق بالدولة الأموية فقد ذكر أسماءهم مبتدئا من معاوية بن أبي سفيان [(٤١-٦٠) هـ= ٦٦١- ٦٨٠) م]، بدون ذكره بلقب الخليفة، ثم يتسلسل في ذكر أعماله ومنجزاته الإدارية والعسكرية، وتوظيفه لعماله وولاته، وأعمالهم، ومميزاتهم، وكانوا تبعا لخليفتهم في أعماله، وطبائعه، خاتماً حديثه بمميزة سياسية لكل عصر من العصور الإسلامية ثم يروي عن معاوية قوله: أنا فتقت المُلك [٣٤].

أما ابنه يزيد بن معاوية (٦٠-٦٤هـ / ٦٨٠-٦٨٣م)، فلخص حياته بثلاثة أسطر، إذ يقول عنه: (كان صاحب لهو وشراب، فظهر في عصره الغناء بمكة والمدينة، والملاهي، وكثر الشراب بين طبقة الأشراف، وسلك عماله وولاته مسلكه بذلك) [٣٥].

ومن جهة أخرى نجد أنه يصف قسماً من الخلفاء الأمويين بالظلم، والجور، وسفك الدماء، ومنهم الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ/٦٨٥-٧٠٥م) وابنه الخليفة الوليد (٨٦-٩٦ هـ/ ٧٠٥ – ٧١٥ م) وفي عصره امتلأت الأرض جوراً، ولم يعرف من مذهب الوليد شيء إلا بناؤه المساجد، فإنه بنى مسجد دمشق، وكان عماله في سائر البلدان على نهجه ومسلكه في البناء والعمران [٣٦]. لكنه يصف الخليفة عمر بن عبد العزيز بن مروان (٩٩-١٠١هـ/ ٧١٨-٧٢٠م) وتعيين العمال المصلحين والمخلصين، فسار ولاته على مسلكه، ونهجه في الزهد، والتواضع، والتقرب من الله ﷻ [٣٧].

وفيما تخص الخلافة العباسية فنراه يذكرهم جميعاً منذ خلافتهم وصولاً إلى نهاية ولايتهم، فأول من ولي منهم هو أبو العباس (١٣٢-١٣٦هـ / ٧٥٠-٧٥٤م) ويبدأ قوله له بأمير المؤمنين وخطب على المنبر قائماً [٣٨] وكان سريعاً إلى سفك الدماء حتى لقب بالسفاح [٣٩] وسرعان ما

مال ولاته وعمَّاله إلى سفك الدماء، ثم ينتقل إلى خلافة المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/ ٧٥٤-٧٧٥م) فيقول عنه أول خليفة نظر في العلم وروى الحديث، وكثرت علوم الناس ورواياتهم في أيامه، واستعمل مواليه وغلمانه من العجم، فسار ولده من بعده على هذا النهج [٤٠] وكان المهدي (١٥٨- ١٦٩هـ/ ٧٥٥- ٧٨٥م) فضُرب مثالا للكرم وسخاء والجود وكثرة المال فسار عماله وولاته على منهجه وطريقه ، ثم جاء من بعده الرشيد (١٧٠- ١٩٣هـ/ ٨٨٦-٨٠٩م) والمأمون (١٩٨-٢١٨هـ/ ٨١٣- ٨٣٣م) والمعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ/ ٨٣٣-٨٤١م) فكانوا مضربا للعلم والعلماء والمعرفة والدين والعمران والسماحة والكرم [٤١].

وينتقل بعد ذلك إلى عصر الواثق (٢٢٧-٢٣٢هـ / ٨٤٢-٨٤٧ م) والمتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ = ٨٤٧-٨٦١ م).

أما الواثق فكان على نهج أبيه المعتصم والمأمون في ميله للمعتزلة والمتكلمين وأستمر الناس على سياسة الخلفاء واتبعوا نهجه في تقربهم للعلماء والقضاة وفي امتحان العدول ولا تقبل شهادتهم من لم يقل بقول (العدل والتوحيد).

واشتهر من بينهم أبو عبد الله أحمد بن أبي دواد فرج بن جرير بن مالك (ت ٢٤٠هـ) [٤٢] وسار الناس على حذو خليفتهم المتوكل فقد نبذ المعتزلة وحاربوهم وأبعدهم عن مجلسه أذ عرف عنه أحيائه السنة والجماعة ونهى الجدل والكلام وتوقف في عصره فتنة خلق القرآن ، فسار الناس على نهجه وطريقته [٤٣] ويذكر عصور الخلفاء الضعفاء الذين غلب عليهم الأتراك وهم كل من المنتصر (٢٤٧-٢٤٨هـ / ٨٦١-٨٦٢ م) والمستعين (٢٤٨-٢٥٢هـ / ٨٦٢ -٨٦٦ م) [٤٤] وكانت مدة خلافتهم قصيرة لم يعرف لهم مذهب أو طريقة وعصر المعتز (٢٥١-٢٥٥هـ/ ٨٦٦-٨٦٩ م) وعصر المهتدي (٢٥٥-٢٥٦هـ / ٨٦٩-٨٧٠ م) وعصر المعتمد (٢٥٦-٢٧٩هـ / ٨٧٠- ٨٩٢ م) وعصر المعتضد (٢٧٩- ٢٨٩هـ / ٨٩٢-٩٠٢م) [٤٥].

ونستخلص مما سبق أن لكل من هذا العصور منجزاتها وتأثيراتها على المجتمع البغدادي او أي مدينة كانت سواء سامراء او غيرها والمؤثر كان هو الخليفة ويعتمد في ذلك على أفكاره وثقافته وطبيعة علومه التي أستنبطه منذ صغره وحتى نشأته ثم شبابه ومدى ارتباطه مع رجال مملكته ووزرائه وعلومهم وثقافتهم وعلاقته مع العلماء ورجال الدين وبالتالي أدت هذه العوامل السابقة إلى

تنمية شخصية الخليفة الفكري والثقافي إلى تهيئة المناخ للمجتمع لأخذ بمنهجه والنهل من أفكاره وطريقته.

- **المدن التي ورد ذكرها في الكتاب:**

وردت أسماء مدن كثيرة في الكتاب، ومنها: مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وأفريقيا، والإسكندرية، ومصر، والعراق وبغداد، والبصرة، وسامراء، والكوفة، والمدائن، والموصل، والجزيرة، والحجاز، والرها، والشام، والطائف والمغرب، واليمن، وحمص، وخراسان، ودمشق، وديار ربيعة، وديار مضر، وطرسوس، وكندة، ووادي القرى.

والمراد من ذكره لهذه المدن هي أولاً تسلسل الحدث التاريخي التي جاءت متسقة ضمن الفترة الزمنية للعصر الراشدي والاموي والعباسي ووقعت أحداثها في هذه البلدان وخلال القرن التاسع الميلادي، ثانياً ترحاله ومشاهداته لهذه المدن والبلدان واعتباره الجغرافي والرحال الذي زار وعاش في البعض منها واستقر في البعض الآخر وهاجر إلى البعض منها.

فأنه يوضح للقارئ مشاهداته الجغرافية والتاريخية والاجتماعية من عادات الملوك وطبائع الشعوب ومؤثرات القيم الاجتماعية تجاه الفرد والمجتمع، فضلا عن ذلك جاء بالأدلة التاريخية وهي المجتمعات الإسلامية التي عاصرها وعاش فيها وهي بغداد وخراسان وأرمينية والهند والمغرب وتوفي في مصر والتي تُعد من أمهات المدن العالم الإسلامي.

فلا غرابة أن نرى اليعقوبي يوثق لعلم الجغرافية والبلدان ورحلاته والمدن التي زارها والامارات التي عاش بها ومن جهة أخرى يروي رواياته التاريخية وأحداثها السياسية كمؤرخ ومن جهة أخرى يؤسس نظرية اجتماعية في تأثير الطبقة السياسية الحاكمة على بقية طبقات المجتمع كعالم اجتماعي [٤٦].

ب. المحور الثاني

١. الأسلوب:

يُعدُّ مؤلفات اليعقوبي أكثر تميزاً وأقدم المصادر في التاريخ والجغرافية التي وصلتنا لحد الآن من حيث دقتها ونوعيتها ، اذ عاش اليعقوبي طوال حياته كباحث في علم الجغرافية والترحال وأخذ يتنقل من بلد إلى آخر ومن مملكة إلى أُخرى، ولد في بغداد خلال القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي

وعاش في العصر العباسي الثاني وعاصر العديد من الخلفاء العباسيين، فمكث بها لمدة من الزمن وبدأ يتلقى العلم والأدب والشعر والتاريخ والجغرافية والرياضيات والعلوم الأخرى على يد أمهر شيوخ وعلماء عصره، ومن بغداد أخذ أسرته ينتقل إلى المشرق الإسلامي ودخل بلاد فارس وطال مكوثه في أرمينيا وخراسان سنة (٢٦٠ هـ / ٨٧٤ م) أواخر حكم أسرة الطاهري اذ شغل أباه منصب سياسي أنداك ثم رحل إلى الهند وجالس علماءها وأخذ منهم ثم دخل إلى أراضي الخلافة الإسلامية ومنها إلى مدن الشام ثم المغرب العربي ومنها عبر إلى أندلس فنهل من علومهم ومعارفهم ثم دخل مصر أذ وطّد علاقته مع الإمارة الطولونية في مصر وكان مرحباً به من قبل أميرها أحمد بن طولون (٢٥٨هـ / ٨٦٨م) [٤٧] وبقي فيها حتى وفاته ، ويعد اليعقوبي أول من أستحدث طريقة جديدة في التدوين التاريخي بعيداً عن الإسناد الروائي ومرتكزاً في محاولته الجديدة على بناء فكر تأريخي عربي أكثر تطوراً وواقعية وأوثق من سابقاتها أو عهوده الماضية [٤٨]، ومن الأسباب التي جعلته يعتلي هذه المكانة الرفيعة في الرواية التاريخية على غرار أقرانه من المؤرخين والجغرافيين السابقين رحلاته الجغرافية أو الميدانية ومن خلال تنقلاته وتجواله ما بين الممالك الإسلامية والأمارات القريبة من بغداد عزز علاقته القوية مع أمراء ورجال السياسة والعلماء والتجار والمثقفين من كبار المجتمع وهكذا ساهم رحلته الجغرافية في بناء ثقافته وغزارة معلوماته من جهة أخرى، فضلا عما كان يمتلكه من العلوم والمعارف التي درسه في بغداد وغيرها من أمهات العواصم والمراكز الإسلامية ، وكونه شاهد عيان لعصره لمعظم الأحداث التاريخية التي جرت في زمانه والذي كان جزءاً منها فجاءت موثقة تاريخياً سواء في خراسان عند إمارة عبد الله بن طاهر بن الحسين أو في مصر عند إمارة احمد بن طولون[٤٩].

فكان بحاثّاً في سرد الأحداث والوقائع التي يرويها للقارئ كأنه يراها ويبصرها وأثناء تجواله كان يسأل أهل الامصار والاقاليم التي كان فيها عن فاتحيها ومبلغ خراجها وولاتها وأهلها وعاداتها ومذاهبها وحكوماتها والمسافات التي بينها وبين الأقاليم المجاورة لها فاذا كانت هذه المعلومات التي جمعها صحيحة أو أصحابها ثقات فكان يوثقها ويثبتها في كتابه فلم يترك شيئاً صغيراً أو كبيراً الاّ أحصاه وكتبها فكان يجمع هذه المعلومات بصورة دقيقة ومدروسة وبجهد وعناء كبيرين ، لذلك جاءت مؤلفاته أكثر دقة وعلمية ومنطقية عن غيرها [٥٠]. كما يتبع أسلوب الانتقاء من الروايات بعد

التدقيق من مصادره، وأسلوب التسلسل التاريخي حسب توالي الخلفاء [٥١]، ومن خلال سيرته ومكانته العلمية نجد اليعقوبي يستعمل خلال رسالته الصغيرة مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر لغة عربية واضحة بعيدة عن التعقيد، ولما كان يتمتع به من أنواع فنون الأدب والنحو والبلاغة العالية فقد جاءت الفاظ وعبارات الكتاب مناسبة ومختصرة ذات أسلوب تاريخي قصصي مفهوم سلس ومنحت للواقعة مغزاها ودلالتها بما يمكّن للقارئ أن يشعر بها ويتذوقها ويتعايش معها [٥٢].

٢. أقسام الكتاب:

تضمن كتاب مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر مقدمة صغيرة لا تتعدى عبارات وأسطر أثنين أو ثلاثة يلخص فيها رسالته المختصرة التي يستنتج منها لمنهجية القائمة في كيفية اتباع المسلمين لخلفائهم وملوكهم وبذلك فهم حسب المفهوم العام لليعقوبي أداة يقوم الخليفة بتحريكيهم حسب فكره واعتقاده ومذهبه، كما أنهم يسيرون ضمن سياسته العامة ويعملون حسب ما يرونه أي الخليفة في المجتمع الإسلامي، فصلاح المجتمع تعتمد على أقوال وأفعال وأخلاق الخليفة ، حسب ما يستعمله اليعقوبي في التعبير عن الخلفاء الأمويين، حيث نجده لا يستعمل كلمة الخليفة للأمويين اذ لا يعبر عنهم بأي مصطلح سياسي أو لقب ديني في مستهل حديثه عن الأمويين في المبحث الثاني، وأثناء حديثه للعباسيين نجده يعبر عنهم بـ لقب . الخلفاء لكن في هذه المقدمة الصغيرة يصف الأمويين بالملوك [٥٣] اذ عرُف عن جده واضح بميله وحبِّه للعلويين وتأييده لهم وسرعان ما دفع حياته ثمناً لهم أثناء خلافة الهادي بن المهدي سنة (١٦٩هـ= ٧٨٥م) كما وصفه البعض بالتشيع [٥٤] وظلت راسخة في أسرته وقد عرف اليعقوبي أنه كان من شيعة الموسوية المعتدلين الذين يعتبرون من الإمامية [٥٥].

ومن هذه المقدمة المختصرة الصغيرة نستنتج أن صلاح المجتمع الإسلامي يعتمد على صلاح وأخلاق الخليفة أو الحاكم أو الملك في كل زمان ومكان وبالعكس، كما أن تأثيره للمجتمع لا يتعدى العادات الاجتماعية والسمات الشخصية فقط وإنما المجال السياسي أيضاً حسب ما يراه الباحث. وهذا ما رأيناه في المباحث الثلاثة بالنسبة للكتاب في كيفية تباع الولاة والعمال في عموم الأمصار الإسلامية سواء العهد الراشدي أو الأموي أو العباسي لسياسية لخلفائهم من حيث استعمالهم القوة

والقمع تجاه الثورات والفتن السياسية أو ممارسة سياسة اللين في بعض الأحيان حسب ما يقتضي الظروف السياسية التي تمر بها البلاد.

فالكتاب تضمن مباحث ثلاثة، فالمبحث الأول: ذكر الخلفاء الراشدين الذين هم كل من الخليفة أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعا، وذكر زهدهم وصفاتهم وأعمالهم السياسية والإدارية ومدى تشبُّه عمالهم وولاتهم بهم واقتفاء أثرهم [٥٦].

أما المبحث الثاني فيشمل أسماء الخلفاء الأمويين الذين هم معاوية بن أبي سفيان، وابنه يزيد بن معاوية، وعبد الملك بن مروان، والوليد بن عبد الملك بن مروان، وسليمان بن عبد الملك بن مروان، وعمر بن عبد العزيز بن مروان، ويزيد بن عبد الملك بن مروان، وهشام بن عبد الملك بن مروان ، والوليد بن يزيد بن عبد الملك، و يزيد بن الوليد بن عبد الملك، ومروان بن محمد بن مروان بن الحكم. مع ذكر صفاتهم وأعمالهم السياسية والإدارية ومذاهبهم الفكرية والاجتماعية ومسالك ولاتهم وعمالهم وسياستهم من نهج خلفائهم الأمويين [٥٧].

وفي هذا المجال لا بد من أن نذكر أن اليعقوبي لم ينصف الأمويين في رسالته أيضاً كما هي الحال مع بقية مؤلفاته التاريخية، حيث يصفهم بملوك الجور، والظلم، والقسوة، والدماء، والشرب، والغناء، واتخاذ الجواري، وظهور الملاهي، والمنكرات، والفساد، في عصرهم وكان عمالهم وولاتهم يذهبون مذاهب ملوكهم [٥٨]. وهذه تتعلق بأسباب سياسية ودينية، منها أحقية آل البيت – عليهم السلام – بالخلافة الإسلامية أكثر من الأمويين [٥٩]، وقد سار على هذا النهج البعض من مؤرخي الإسلام [٦٠].

أما المبحث الثالث فتناول خلفاء بني العباس وبدأ بلقب أمير المؤمنين الذي أطلقه على أبي العباس، وكيف أحيا سنة الرسول ﷺ عندما خطب على المنبر قائما؟ ثم ذكر المنصور، والمهدي، وموسى الهادي، والرشيد، ومحمد الأمين، والمأمون، والمعتصم، والواثق، والمتوكل، والمنتصر، والمستعين، والمعتز، والمهتدي، والمعتمد، والمعتضد.

أما ملخص المبحث الثالث فنجده يمدحهم، ويصف أعمالهم السياسية، والعمرانية، والفكرية، والدينية، كما هي بأسلوب المدح والفخر، ومن جهة أخرى نجده يبدي لهم الاحترام والإجلال من خلال ما يروي لهم من النصوص التاريخية والأفعال الخالدة، وهذا يرجع إلى أن اليعقوبي ولد وترعرع

ببغداد، ثم أمضى شبابه في أرمينيا (١٤١هـ= ٧٥٨م)، أي طوال مدة خلافة المنصور (١٣٦-١٥٨) هـ= ٧٥٤- ٧٧٥م)، عندما تولى جده واضح ولاية أرمينية وخراسان، فعاش العصرين العباسي الأول ثم الثاني الذي بدأ سنة (٢١٨هـ/ ٨٣٣م)، أي عصر المعتصم، وتسلط الأتراك على الخلافة، فشهد مفاخرهم وازدهارهم الحضاري، والعلمي، والاجتماعي، والمعرفي، ومن المعروف أن العباسيين الأوائل عُرِفَ عنهم تقربهم من العلماء ورجال الفكر، والأدباء، والشعراء، وتقريبهم لهم، ودَعْمِ نتاجاتهم الفكرية، والعلمية، والأدبية، وما كان لهم من تأثير كبير على الخلفاء، فجاء مدحه لهم تخليداً لذكراهم، وتمجيداً لأعمالهم الحضارية. ومن جانب آخر ربما كان هذا الاحترام والإجلال بسبب هاجس الخوف، والرهبة من العباسيين الذين كان وراءه الانتقام، والخلاص منه بصورة نهائية، كما فعلوا مع جده واضح في عهد خلافة الهادي [٦١].

٣. منهجه:

اختلفت منهجية مؤلفات اليعقوبي خلال القرن الثالث الهجري = التاسع الميلادي عن القرون الماضية، التي كتبت فيه الروايات في العلوم الشرعية بالأسانيد في القرنين الأول والثاني الهجريين، ووصفت بالموضوعية، والعلمية في نقله لأحداث العصر، وعدم الاستطراد، والإيجاز في التعبير، والبعد عن عبارات التهويل، والأسلوب القصصي، كما تميزت بإيراد الروايات المتعددة عن الخبر الواحد، مع أجراء النقد، أو محاولة الجمع بينها أحياناً [٦٢].

ففي القرن الثالث الهجري تغيرت منهجية التدوين التاريخي لدى المؤرخين، وبالأخص على يد اليعقوبي الذي سلك سلوكاً مغايراً في كتابته للتاريخ الذي أطلق عليه تاريخ اليعقوبي، والبلدان، فأحدث ثورة كبيرة في كتابته للجغرافيا التاريخية، فنهج منهجه مؤرخون كثر، منهم ابن الفقيه (ت ٣٤٠هـ / ٩٥١م)، والمسعودي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، والإصطخري (٣٤٦هـ / ٩٥٧م)، وابن حوقل (ت ما بعد ٣٦٧هـ / ٩٧٧م)، والمقدسي (ت ٣٨١هـ/ ٩٩١م)، وقد اعتبروه أستاذاً لهم في علم الجغرافيا [٦٣].

سار اليعقوبي في منهجه على غرار ما سار عليه مؤرخو القرون الماضية، لذلك جاءت مؤلفاته بين نقد معارض، ومؤيد موافق على التغيرات والتطورات التي أجراها في مجرى منهجية التدوين التاريخي، سواء في العلوم الإنسانية، أم في العلوم التجريبية، ويستثنى من هذه التغيرات العلوم

الشرعية، وخاصة علوم الحديث التي حافظت على أصولها، وروايتها، وأسانيدها منذ أقدم العصور وحتى الوقت الحاضر [٦٤]. فمن الذين ينتقدون منهجه في رسالته مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر، يقول الدكتور صبحي إبراهيم الصالح: (رسالة تبحث في تشبه الناس، وتقليدهم لخلفائهم، لكنه يبالغ في هذه الناحية، ويذكر أموراً عظاماً عن خلفاء بني أمية، وبني العباس، دون أن يذكر مستنداً له، ونشك في واقعيتها وهو غير ثقة...) [٦٥].

أما بالنسبة لمنهجه فإنه يفتقد إلى أبسط قواعد التوثيق العلمي [٦٦]. أما رأي الآخر (المؤيد) فيذكر عن نهجه، البحث، والاستقصاء، والتمحيص في الروايات، وانتخابها، لذلك جاء منهجه معاكساً لمنهج الطبري (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٣م)، إذ جمع تقريراً شاملاً عن الأخبار والروايات، وسير الكتاب والمؤرخين، واختلافهم، ووصف أسلوبه بالاعتدال والدقة[٦٧].

والراجح الذي تميل إليه الباحثة: أن اليعقوبي كان موضوعيا في رسالته، وتسلسل الخلفاء، والعهود الإسلامية، حسب الامتداد الزمني، ومنهج النقد للخلفاء الأمويين، وبعض الخلفاء العباسيين المتأخرين، وتحزبه لفئة دون أخرى، وتسليطه الضوء على الجوانب الاجتماعية، وعادات الملوك، ومميزات الولاة والعمال، واستطراده في ذكر الخطبة، والأعمال العلمية، وترجمته للكتب، والمؤلفات الهندية، والفارسية، وغيرها [٦٨].

الهوامش والمصادر:

(١) الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي، الأعلام، (دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م)، ج١، ص ٩٥.

(٢) اليعقوبي، البلدان، (المقدمة) ، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ)، ج١، ص٥.

(٣) المقريزي، تقي الدين (ت ٨٤٥هـ= ١٤٤٠م)، تحقيق : محمد اليعلاوي، ط٢، (بيروت، دار الغرب الاسلامي، ١٤٢٧هـ= ٢٠٠٦م)، ج١، ص ٤٥٤.

(٤) اليعقوبي، البلدان (المقدمة)، ج١ ، ص٥ .

(٥) الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، معجم الأدباء= إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح: إحسان عباس، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م)، ج ٢، ص٥٥٧.

(٦) الكندي، محمد بن يوسف أبي عمر المصري، الولاة وكتاب القضاة، تصحيح وتهذيب: رفن كست، (بيروت، مطبعة اليسوعيين، ١٩٠٨م)، ص ٣٥٠، ٣٥٣.

(٧) اليعقوبي، البلدان، (المقدمة)، ج١، ص ٥.

(٨) الحموي، معجم الأدباء، ج ٢، ص ٥٥٧.

(٩) طه عبد العاطي أحمد نجم، علم اجتماع المعرفة، (الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٦م)، ص٨-٩، هو العلم الذي يهتم بدراسة محددات مشاركة الإنسان في الحياة الاجتماعية، حيث تؤثر هذه المحددات في معرفته وفكرته وثقافته كما يعرفه "بيتر توماس" في كتابه أسابيع علم الاجتماع، (جامعة المعرفة، ٢٠١٧)، ص ٤٣٤، هذا العلم بأنه دراسة العلاقة بين الفكر الإنساني والسياق الاجتماعي الذي نشأ من خلاله؛ كما يشمل دراسة الآثار التي تُحدثها الأفكار السائدة على المجتمعات. ويقول عنه محمد عاطف غيث وآخرون، قاموس علم الاجتماع، (دار المعارف، القاهرة، د. س)، ص٤٦٠: بأنه ملاحظة كيفية ارتباط الحياة الفكرية في فترة تاريخية معينة بالقوى الاجتماعية والسياسية القائمة، كما هو تحليل للعلاقات الوظيفية المتبادلة بين العمليات الاجتماعية والبناءات الاجتماعية من جهة والحياة الفكرية وطريق المعرفة من جهة أخرى؛ فهو علم يهتم بالعلاقات بين اتساق الفكر والوقائع الاجتماعية.

(١٠) على الوردي، تحليل سيسيولوجيا لنظرية ابن خلدون في علم اجتماع المعرفة: ترجمة لاهاي عبد الحسين (بغداد، دار المدى: ٢٠١٨ م) ص١٩ – ص٢٤

(١١) اليعقوبي، مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر، دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن عبد الله الشقير، ط١، (بيروت، الجداول للنشر والتوزيع والترجمة، ٢٠١٩)، ص ١١٩.

(١٢) نجد في كتاب " مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر" أن اليعقوبي يذكر عددا من الخلفاء العباسيين المشهورين بأعمالهم السياسية والعمرانية والاقتصادية والدينية والاجتماعية، كما يقتصر ذكره فقط على مدة حكمهم الطويلة، وعلى أكثرها ارتباطا بالحدث التاريخي من حيث الزمان والمكان.

(١٣) عبد الشافي محمد عبد اللطيف، موسوعة سفير للتأريخ الإسلامي (العصر الأموي) (٤٠- ١٣٢م)، (القاهرة، شركة سفير، ١٩٩٦م)، ص ٧٨.

(١٤) عبد اللطيف، موسوعة سفير للتأريخ الإسلامي، ص ٧٩.

(١٥) القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تح: إبراهيم شمس الدين (بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥م)، ج ١، ص ١٧٠.

(١٦) رأى اليعقوبي من وجهة نظره أن التطور العلمي الحاصل في العصر العباسي كان من بناء الدولة العباسية وحكم الخلفاء العباسيين الأوائل الذين كان لهم الدور الكبير في ذلك، وهذا ما أطلق عليه بـ "الاستهلاك الثقافي"، وما أنتجته المدارس والمكتبات.

(١٧) الخزرجي، أبو العباس موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، (بيروت، دار مكتبة الحياة، د. س)، ج ١، ص ١٧١، ١٧٥.

(١٨) أحمد أمين، فجر الإسلام – يبحث عن الحياة العقلية في صدر الإسلام الى أخر الدولة الأموية–، ط٢ (القاهرة، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٢م)، ص ٣٠٧.

(١٩) اليعقوبي، مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر، ص ١١٨.

(٢٠) المسعودي، علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، عناية: كمال حسن مرعي، ط١، (بيروت، المكتبة العصرية، ٢٠٠٥م)، ج٢، ص ١٣٢– ١٣٦.

(٢١) سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، (القاهرة، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٦م) ص٦٥.

(٢٢) المسعودي، مروج الذهب، ج٢ ص ٩١؛ ٩٦.

(٢٣) جرجي زيدان، تأريخ آداب اللغة العربية، (مصر، مطبعة الهلال، ١٩١٢م)، ج٢، ص ١٥٨.

(٢٤) حسن إبراهيم حسن، تأريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي واجتماعي (العصر العباسي الثاني) ط١، (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٨م)، ج٤، ص ٦٢٥– ٦٢٧.

(٢٥) زيدان، تأريخ آداب اللغة العربية، ج٢، ص ١٥٥.

(٢٦) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص ٥٩؛ ٦٤.

(٢٧) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، تأريخ الإسلام ووفيات مشاهير الإسلام، تح: عمر عبد السلام تدمري، ط١، (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧م)، ج١٥، ص ٩.

(٢٨) مروج الذهب، ج٢، ص ٧٢.

(٢٩) الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد أبن إسماعيل، لطائف اللطف، تح: عمر الأسعد، (دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٧م)، ص ٧٠.

(٣٠) مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر، ص ٦٥.

(٣١) ضيعة بالمدينة المنورة وهي عين غزيرة الماء كثيرة النخل كانت وقف لآل الرسول صلي الله عليه وسلم من أولاد فاطمة عليها السلام: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة محققين، (دار الهداية، د: س، د: م) ج٢٢، ص ٤٤٣.

(٣٢) اليعقوبي، مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر، ص٧٦.

(٣٣) المصدر نفسه، ص ٧٦.

(٣٤) المصدر نفسه، ص٧٩ أي بمعني أحدث شيئا جديدا في الحكم غير الشورى التي كان عليه الخلفاء الراشدين من الزهد والتقشف بأموال المسلمين فجعل معاوية من الحكم نظام الوراثة لآل بيته، وأتخذ من الأموال هيبة وعز للإسلام بين أعدائه وهذا ما كان يقصده أثناء حديثه مع الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما سأله الخليفة عن موكبه العظيم، واستحدث أموراً إدارية كان لها شأن في اظهار عز للإسلام.

(٣٥) المصدر نفسه، ص ٨٠

(٣٦) المصدر نفسه، ص ٨٣

(٣٧) مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر، ص ٨٥.

(٣٨) اليعقوبي، مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر، ص٩٢

(٣٩) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (أبو محمد) الأندلسي القرطبي، رسائل ابن حزم الأندلسي، تح: إحسان عباس، ط٢ (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت: ١٩٨٧ م)، ج٢ ص١٤٧؛ أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب (أبو بكر) البغدادي، تاريخ بغداد، تح: بشار عواد معروف، ط١ (دار الغرب الإسلامي، بيروت: ٢٠٠٢م)، ج١١، ص ٢٣٦.

(٤٠) عزت العطار الحسيني، رأي أبي عثمان بن عمرو بن بحر الجاحظ في معاوية والأمويين، د. ط، (مكتب نشر الثقافة الإسلامية، د: ن، ١٩٤٦ م)، ص٢٦

(٤١) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تح: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط١ (دار الكتب العلمية، بيروت: ١٩٩٢م)، ج ١١، ص ١١٧.

(٤٢) من علماء المعتزلة الكبار والمشهورين، تولى منصب قاضي القضاة في عصر المعتصم، وعرُف بامتحانه للإمام أحمد بن حنبل في مسألة خلق القرآن، كما عرف عنه فصاحته وبلاغته. ينظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، (دار صادر، بيروت: ١٩٠٠م)، ج١ ص ٨١.

(٤٣) المسعودي، مروج الذهب، ج٤ ص٧١

(٤٤) الطبري أبو جعفر محمد بن جرير، تأريخ الطبري، (دار الكتب العلمية، بيروت: د: س)، ج٥، ص ٣٥٤.

(٤٥) المصدر نفسه، ج٥ ص ٦٠٥.

(٤٦) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، مقدمة ابن خلدون، (دار القلم، بيروت: ١٩٨٤ م)، ج١ ص٢٥٧.

(٤٧) يوسف بن تغري بردي جمال الدين أبي المحاسن، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، د: س)، ج٣ ص٤

(٤٨) حسين عاصي، اليعقوبي – عصرهُ – سيرة حياته – منهجه التاريخي (بيروت، دار الكتب العلمية، د: س)، ص ١٠١.

(٤٩) عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بـ (ابن الأثير)، الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، ط١ (بيروت، دار الكتاب العربي: ١٩٩٧م)، ج٥، ص٤٠٧

(٥٠) محمد أمين الضناوي، مقدمة البلدان لليعقوبي، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية: ١٤٢٢م)، ج١، ص ٤

(٥١) عبد العزيز الدوري، نشأة علم التاريخ عند العرب، (مركز زايد للتراث والتاريخ، د: م، ٢٠٠٠م)، ص٥٧، ص٥٨

(٥٢) عاصي، اليعقوبي – عصرهُ– سيرة حياته – منهجه التاريخي، ص٥.

(٥٣) مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر، ص ٦٥.

(٥٤) الطبري، تاريخ، ج٤، ص ٦٠٠.

(٥٥) أبي عُبيد البكري، " المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب " وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، (المثنى، بغداد، د: س)، ج١، ص١١٨، ص١١٩. أما الشيعة الموسوية: فهم أسرة سكنت في العالم العربي وايران وغالباً ما تطلق هذه اللقب على أفراد هذه العائلة لفظة (سيد) والتي ترادف كلمة (شريف) وتعود أصل هذه أسرة الى النبي محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق إمام الشيعة موسى الكاظم (عليه السلام) ومنه أخذت أسمها ولفظة (سيد)، حول هذا الموضوع ينظر: الموسوي ويكيبيديا :/org/Wiki . ar.WiKipedia (4)

(٥٦) اليعقوبي، مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر، ص٦٦.

(٥٧) مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر، ص٨١ ص٨٣.

(٥٨) مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر، ص ٨٥.

(٥٩) ينظر: القفاري ناصر بن عبد الله بن علي، أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية عرض ونقد، ط١ (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٦٠م) مج ١، ص١٦٥.

(٦٠) وهذا ما أوردته كتب التاريخ الإسلامي القديمة والحديثة عن سيرة البعض من المؤرخين المسلمين، ومنهم المسعودي (ت ٣٤٦هـ= ٩٥٧م)، والواقدي (٢٠٧هـ= ٨٢٣م)، وقد كانوا من خيرة العلماء والكتاب والمؤرخين، وألفوا كتباً عديدة في مجالات عدة. ينظر: ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق، الفهرست، (دار المعرفة، بيروت،١٩٨٧م)، ج ١، ص١٧١؛ ١٤٠.

(٦١) تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢ ص ٥٩.

(٦٢) العلياني، محمد بن صامل السّلمي، منهج كتابة التاريخ الإسلامي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، (جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٩٨٤م)، ص ٣٤٥.

(٦٣) الضناوي، مقدمة البلدان لليعقوبي، ص ٣.

(٦٤) الصالح، صبحي إبراهيم، علوم الحديث ومصطلحه – عرض ودراسة–، ط١٥، (دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤م)، ص ٤٣٥.

(٦٥) السلمي، منهج التأريخ، ص ٣٧٥.

(٦٦) السّلمي، منهج التأريخ، ص٣٧٩

(٦٧) https://ar.wikipedia.org/wiki/ مقالة مفصلة عن اليعقوبي، دائرة المعارف العالم الإسلامي.

(٦٨) اليعقوبي، مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر، ص ٧٧.